إعداد عمار كاظم
amak_14@yahoo.com

الإمام الحسين (عليه السلام).. رسالة الوعظ والإرشاد

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يعيش الرسالة كإمام لها وكمسلم أيضاً، ويعتبر أنّ الرسالة تمثّل رضا الله سبحانه وتعالى، وأنّ رضا الله فوق كلّ شيء، لذلك كان يعيش أزمةً نفسيةً ليست شخصية، بل رسالية، ولذا عبّر عنها بقوله: «ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادةً، والحياة مع الظالمين إلّا برماً». فهو لا يريد أن يعبّر عن حالة يأس، ولكنّه يريد أن يعبّر عن حالة رفض، وأنّ الموت في خطّ الجهاد يعتبر سعادةً، لأنّ الإنسان يؤكّد رسالته ويؤكّد انتماءه وموقفه وعبوديته لربّه، أمّا الحياة مع الظالمين دون أن يواجههم، ودون أن يقوم بأيّ عمل، فإنّها تمثّل الحياة التي يبرم بها الإنسان، بمعنى أنّه لا يشعر فيها بالحيوية ولا بالحياة. لذلك، كان الإمام الحسين (عليه السلام) يركّز على هذا الجوّ، من خلال تصوير المسألة في جانبها النفسي، إضافةً إلى الجانب الموضوعي: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه»، ثمّ يقول: «ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادةً، والحياة مع الظالمين إلّا برماً».

وهكذا نجد أنّ الحسين (عليه السلام) وهو يتحرّك، كان يريد أن يعمّق الرسالة في نفوس كلّ الذين ينطلق معهم، فعندما كان يقف مع معسكر ابن سعد، كان يعظهم بين وقتٍ وآخر، وكان يحاول أن يضعهم في أجواءٍ روحانية وعظية تنقلهم إلى الآخرة، وتجعلهم في مواجهة حقارة الدُّنيا، ففي غداة يوم عاشوراء، خاطبهم بقوله: «عباد الله، اتّقوا الله، وكونوا من الدُّنيا على حذر، فإنّ الدُّنيا لو بقيت لأحدٍ أو بقي عليها أحد، كانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرِّضا، وأرضى بالبقاء، غير أنّ الله خلق الدُّنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجديدها بالٍ، ونعيمها مضمحلّ، وسرورها مكفهرّ، والمنزل بلغة، والدار قلعةً، فتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى، فاتّقوا الله لعلّكم تفلحون».

فلو كانت المسألة عند الإمام الحسين (عليه السلام) مجرّد مسألةٍ سياسية، لكان تحدّث معهم بلغةٍ سياسية، في حين نراه يتحدّث معهم بلغةٍ قرآنيةٍ وبلغةٍ وعظية، لأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يعرف أنّ مشكلة المجتمع الإسلامي آنذاك، كما هي مشكلة المجتمع الإسلامي في كثيرٍ من المراحل، هي أنّ الناس قد أغلقوا قلوبهم عن الله سبحانه وتعالى، وأنّهم لا يفكّرون في الآخرة، وإنّما يستغرقون في الدُّنيا. ولذلك، عندما ندرس الكثير من كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) في مسيرته من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى كربلاء، نرى أنّ كلَّ أحاديثه كانت وعظيةً تفتح القلب وتفتح الروح، لأنّه كان يريد أن ينتج مجتمعاً إسلامياً. صحيح أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يطلب أن يكون هو الذي يحكم، لكنّه لم يكن ليطلب الحكم لذاته، بل لرسالته، ليغيِّر الواقع من خلال تجربة الحكم.

ولذلك، لابدّ لنا من أن نقرأ الحسين (عليه السلام) رسالةً شاملة، فلا تقرأوه في السياسة وحدها، ولا تقرأوه في المأساة وحدها، ولا تقرأوه في الكثير ممّا يتعارفه الناس، بل اقرأوا الحسين (عليه السلام) كما تقرأون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع الفارق طبعاً، لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «حسين منّي وأنا من حسين»، فهذا الاندماج بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسين (عليه السلام)، لم يكن اندماجاً نَسَبياً، بل كان اندماجاً رسالياً، لأنّ الحسين (عليه السلام) قد تحوّل إلى تجسيدٍ لرسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله هو التجسيد الحيّ للرسالة. لذلك، فإنّ هناك رسالةً اندمجت في رسالة، فالحسين (عليه السلام) منه، باعتباره انطلق من رسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجوده الرسالي، «وأنا من حسين»، لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلق من الرسالة التي تجسّدت بالحسين في مرحلته، وهكذا يجب أن نفهم المسألة.

نتائج وآثار ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

مع كلّ ثورة اجتماعية كبرى وفي ظل كلّ حضارة جديدة، تتغير جميع العلاقات الاجتماعية، فتظهر أنماط جديدة للأُسرة، والحبّ، وطريقة العمل، والنظام الاقتصادي، وأسلوب الحياة ونمط المعيشة والتبادل الثقافي. ويقول «توفلر»: «أنّ الحضارة الجديدة تصطدم في آلاف المواضع مع القيم، والمفاهيم، وتقدّم تعاريف جديدة لمفاهيم الله، والحبّ، والعدالة، والقوّة، والجمال... إلخ وتخلُق عقائد وأفكاراً جديدة، وتغير نوع التسليات وحتى أنواع الأطعمة». من نتائج ثورة الحسين وتأثيراتها إحياء القيم التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من التطلّع للعدالة وتوثيق أواصر المحبّة والتعاون ورفض قيم البداوة من الخشونة والغلظة وإعادة نمط الحياة الحضرية التي عُرفت بالتماسك الاجتماعي والولاء للأُمّة والوطن وترك العصبية. وهذه الآثار ما تزال تعمل عملها إلى اليوم. فمن بين التأثيرات المهمّة لعاشوراء هو إعادة طرح القيم في مجالس الحسين (عليه السلام) من كلّ عام، والتأكيد من جديد على المودّة والإيثار والشهادة، والتحررية، والتديُّن، ممّا يجعل من عاشوراء والمراسم التي تقام خلال شهري محرم وصفر مصدراً دائماً لضخّ القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة في نفوس الجيل الجديد، جيل الشباب.. ففي كلّ عام يسمع الملايين أصداء صوت الحسين (عليه السلام) الهاتف، «إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم». وهو هتاف يطرق أبواب المجتمعات المدنية الصناعية وشبه الصناعية أي أنّه القيمة التي كانت من أُولى ضحايا المجتمع الغربي. الإيثار هو أحد الأُسس الأصلية للأخلاق، ومن الإلهامات الواضحة لثورة الحسين (عليه السلام)، بينما لا معنى لهذه اللون من القيم الأخلاقية في المجتمعات الحديثة. من القيم المتكررة الأُخرى لذكرى عاشوراء التعارض بين العدل والظلم، والحث على التمرُّد على الظلم عن طريق رمزية تاريخ عاشوراء.

من جانب أخر، أغلب علماء الاجتماع يرون بأنّ التأثير الأساسي لعامل الدِّين يتمثّل في محو التفاوت الطبقي وخلق التجانُس والتضامن الاجتماعيّين فمن وجهة نظرة الدِّين أنّ جميع الناس متساوون أمام الله تعالى. وقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات/ 13). ومن ميزات مراسم إحياء ذكرى عاشوراء التي تُلفت النظر وتثير الانتباه لمن يتأمل فيها قليلاً إنّها يشترك فيها جميع الناس من كلّ الطبقات الاجتماعية، يشترك فيها الرجال والنِّساء ويختلط فيها العامل، وصاحب العمل، والفلاح والتاجر، الطبيب والمهندس، أهل المدن وأهل القُرى والأرياف، الرئيس والمرؤوس، العالم والمتعلِّم، الأستاذ الجامعي والطالب. دون تمييز بينهم، وفي ظل وضع واحد، ويدفعهم شعور واحد لذلك تتوفّر في هذه المراسم فُرصة ثمينة جدّاً لإذابة الفوارق الاجتماعية ونشر أجواء التآلُف والمحبّة وهذا الأمر ليس قليلاً في زمن تعدّدت فيه وجهات النظر وعمت الفرقة. وفي زمان ظهر فيه الاختلاف حتى بين أبناء الفرقة الواحدة، وعمّ التنافس على المناصب الحكومية والمراكز الاجتماعية.

في جانب الحكمة والسماحة، «عن جرداء بنت سمين عن زوجها هرثمة بن أبي أسلم قال: غزوناً مع عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في صفيِّن، فلما انصرفنا نزل بكربلاء فصلّى بها صلاة الفجر، ثمّ رفع إليه من تُربتها فشَمّها ثمّ قال: «واهاً لك أيّها التربة، ليحشُرن منكِ قومٌ يدخلون الجنّة بغير حساب». فرجع هرثمة إلى زوجته وكانت تحبّ عليّاً (عليه السلام) فقال: إلا أحدثك عن وليّك أبي الحسن؟ قالت: نعم ما عندك؟ قال: نزل بكربلاء فصلى صلاة الصبح ثمّ رفُع إليه من تُربتها فقال: واهاً لك أيّها التربة، ليحشرن منك أقوامٌ يدخلون الجنّة بغير حساب» قالت: أيّها الرجل فإنّ أميرالمؤمنين لا يقول إلّا حقّاً. فلما قدم الحسين (عليه السلام) قال هرثمة: كنت في الجيش الذي بعثهم ابن زياد، فلما رأيتُ المنزل والشجر والماء ذكرتُ الحديث فجلستُ على بعيري ثمّ صرتُ إلى الحسين فسلمتُ عليه وأخبرته بما سمعتَ من أبيه في ذلك المنزل. فقال الحسين (عليه السلام): معنا أنتَ أم علينا؟ فقلتُ: لا معك ولا عليك، خلّفتُ صبيةً أخاف عليهم عبيدالله بن زياد. قال «فامضي حيث لا ترى لنا مقتلاً ولا تسمع لنا صوتاً، فو الذي نفسُ حسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا بعيننا إلّا أكبّهُ الله في جهنم».

وتتجلى هنا قيمة الحرّية واحترام الإنسان عند الإمام الحسين (عليه السلام) فالرجل لما سأله الإمام: «معنا أنت أم علينا» فسمع منه كلمة الحياد، نصحه أن يبتعد عن تلك الأرض التي سوف تصطبغ بدماء الشهداء، فلم يواجهه بالخشونة والإهانة والسب والشتم رغم أنّه لم ينصُر الحسين الذي قال فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «حسين مني وأنا من حسين».

المفهوم الواعي للنهضة الحسينية

إنّ قضيّة الإمام الحسين (عليه السلام) لابدّ من أن تكون ممزوجة بالعاطفة، فلابدّ من أن تبقى المأساة أساساً في الثورة الحسينية عندما نقدِّمها للناس، لأنّ الثورة الحسينية إذا خلت من العاطفة، أصبحت مجرَّد قضيّة من قضايا الصراع في التاريخ، وماتت كما تموت كثير من قضايا الصراع، ولذلك فقد خطّط أهل البيت (عليهم السلام) لتبقى قضيّة الحسين مربوطة بعمق العاطفة، فكانوا يُنشئون المجالس، ويجلسون إلى الشعراء الذين ينشدون في مراثي الحسين (عليه السلام)، ويهيّئون الأجواء البكائية وما إلى ذلك.. لذلك فالعاطفة أساسية في مسألة الإمام الحسين (عليه السلام)، ولا يجوز الابتعاد عنها.

كما لابدّ من أن تدرس قضيّة الحسين (عليه السلام) دراسةً علمية موضوعية، فيجب علينا أن ندرس الروايات في مضمونها، من حيث طبيعة علاقتها بالواقع من حولها، حتى نستطيع أن نركّزها على أساس وقاعدة.. أن نفهم . مثلاً . ظروف خروج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكّة؛ هل هي ظروف تتّصل بمسألة كربلاء، أو هي ظروف تتّصل بمسألة البيعة؟ وهكذا علينا أن ندرس المرحلة التي أمضاها الإمام الحسين (عليه السلام) في مكّة وكيف كانت، وهكذا . وهذه نقطة مهمّة جدّاً . مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) من مكّة إلى كربلاء وحركته في كربلاء.. لابدّ من دراسة علمية في هذا المجال.

لابدّ من أن نقرأ أوّلاً، قبل أن نقرأ الكُتُب الأُخرى، المصادر الموثوقة التي بين أيدينا. وكذلك لابدّ لنا من أن نختار . بعد دراسة . الأشياء التي يمكن أن ينفتح عليها الإنسان، وأن لا نبادر إلى قراءة الأشياء التي لم تثبت لمجرّد إثارة العاطفة، فقد ورد في كلام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وهو ينقد بعض أصحابه عندما كان يحاور بعض الناس، كان يقول له: «تمزج الحقّ بالباطل، وقليل الحقّ يكفي من كثير الباطل».

إذاً، نحن نستطيع أن نقدّم عاشوراء هذه الثورة الخالدة إلى العالم كلّه في بُعدها الإسلامي والإنساني، دون أن نحصرها في الدائرة الطائفية الخاصّة، لأنّ الحسين (عليه السلام) إمام المسلمين، وهو الذي عاش مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في طفولته الأُولى، وعاش في أحضان أُمّه السيِّدة الزهراء (عليها السلام) وأبيه الإمام عليّ (عليه السلام)، فجمع كلّ العناصر والخصائص الكمالية الموجودة في هذه الشخصيات، سواء العناصر الروحية والإيمانية، أو الفكرية والرسالية وغيرها... ونحن نقرأ قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «حسين مني وأنا من حسين»، الذي يبيّن هذا الاندماج الروحي والرسالي بين النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسين (عليه السلام).

وفي هذا البُعد، نقرأ قوله (عليه السلام): «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي- فهو لم يتحدّث عن عائلة أو منطقة، إنّما تحدّث عن الأُمّة كلّها، لأنّه كان يتحمّل مسؤولية الأُمّة كلّها من خلال إمامته ومسؤوليته. ثمّ أكّد - أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»، فهو كان يرى واقع الأُمّة المُنحرف، لأنّ الحُكم الذي كان سائداً في ذلك الوقت، هدّم إنسانية الإنسان، لأنّ الإنسان الذي يعيش في قلبه المحبّة والولاء للإمام الحسين (عليه السلام) ولأهل بيته، وفي الوقت عينه، يقاتله ويقتل أهل بيته وأصحابه، مقابل حطام الدُّنيا أو موقع في السلطة، كعمر بن سعد، فهؤلاء ممّن هَدُمت إنسانيتهم، وما عادوا يصلحون لحمل الرسالة.

الثورة الحسينية.. تجارب وعِبر

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران/ 169). الحسين بن عليّ (عليه السلام) شعار ومدرسة وتيار كفاح وجهاد رسالي وسياسي فريد في تاريخ الإسلام.. لذلك كان دوره كبيراً، وأثره عظيماً.. فقد كان قوّة دافعة محرِّكة في أحداث التاريخ الإسلامي وخصوصاً الجهادي منه على مدى أجيال وقرون عديدة ولم تزل نهضته وحركته ومبادئه تتفاعل وتؤثر في ضمير الأُمّة ووعيها. لقد كانت هناك عوامل ودواعي سياسية واجتماعية ورسالية دفعت الإمام الحسين (عليه السلام) إلى التحرُّك والثورة ومواجهة يزيد.. وفي مقدّمة هذه الدواعي هو انتهاك المبادئ التي يقوم على أساسها الحكم في الإسلام، والتي من أبرزها:

- احترام رأي الأُمّة ومشاورتها في تسيير شؤون الحكم والسلطة: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (آل عمران/ 159).
- سيادة القانون والقيم وجعلها مقياساً لقيمة الحاكم.. ومدى مشروعية وجوده وحقّه في ممارسة صلاحياته: (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى) (ص/ 26). (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) (المائدة/ 48).
- العدل والمساواة بين أبناء الأُمّة في الحقوق والواجبات بمختلف طبقاتهم وقومياتهم: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (النِّساء/ 58).
- الكفاءة والاستقامة في تولّي شؤون الأُمّة وتسيير مهام الحكم والسياسة فيها: «أُمِرنا أن نُنزل الناس منازلهم» (حديث شريف).
- العدالة في التوزيع الاقتصادي: (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر/ 7). «لو كان هذا المال ليَّ لسوّيت بينهم، فكيف والمال لله» الإمام عليّ (عليه السلام).
- حقّ النقد والنصح والتوجيه ومناقشة سياسة الحاكم: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 104). «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر» (حديث شريف).

وحين رأى الإمام الحسين (عليه السلام) الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية، وتوجّه السلطة وسياستها العامّة لا تلتزم بهذه المبادئ.. وأنّ الأُمّة تعيش حالة من الحيرة والضياع السياسي؛ شخّص واجبه ووظيفته الشرعية كإمامٍ وقدوة للأُمّة في أن يؤدِّي دوره السياسي والعقائدي. لذا كانت هذه الثورة.. ثورة غنيّة بالدروس والعِبَر.. فيها التضحية بالمال والنفس والأهل والمكانة الاجتماعية.. وفيها تحدّي الإرهاب والقسوة. فقد قطع الإمام الحسين (عليه السلام) مئات الأميال وسار الليالي والأيّام وتحرّك عبر ظرف سياسي عصيب.. ووطَّنَ نفسه على التضحية والفداء فقُتِلَ هو وأبناؤه وأهل بيته وأصحابه ومُثّل بأجسادهم وحُملت رؤوسهم: يطاف بها بين كربلاء والكوفة والشام، وسُبيت نساؤهم وحُمِلْنَ عبرَ الصحارى والقِفار، وقد كان يعلم ويتوقع حدوث كلّ ذلك وهو مُصِرٌّ على التضحية والفداء. إنّ ثورة يقودها واحد من أقدس شخصيات الأُمّة وأئمّتها لتكون لها قيمتها وأهميّتها العقائدية والأخلاقية والوجدانية الخاصّة.. فالثورة الحسينية يجب أن تُدرَس وتُستوعَب وتُستخلَص منها الدروس والتجارب خاصّة للشعوب المستضعفة والواقعة تحت سيطرة الطغاة والأنظمة الاستعبادية.

كربلاء.. مسرح العظمة والإنسانية

كربلاء مسرح العظمة، مسرح الإنسانية، مكان جاهز للمكارم والبطولات، إنّ مسرح كربلاء يمكن تشبيهه بأيّ معرض تاريخي خالد، لكنّه ليس كأيّ معرض عادي، إنّه يمثّل معرضاً للروح المعنوية والمعرفة الإنسانية، ففي معرض كربلاء العظيم يستطيع المرء أن يُدرك عظمة القدرة الأخلاقية والروحية والمعنوية للبشرية.

في معرض كربلاء العظيم، تستطيع الإنسانية أن تفهم وتستوعب القدرة البشرية على العطاء والتضحية والظهور بمظهر التحرّر والدفاع عن الحقّ، إنّ عظمة واقعة كربلاء تكمن أوّلاً وأخيراً في شخصية سيِّد الشهداء وأصحابه وأنصاره.

حادثة كربلاء في واقعها تجسّد الإسلام في كافة أبعاده ونواحيه، تجسّد فيه المبادئ الإسلامية وجوانب العقيدة كافة، وقد تجسّد عملياً في هذه الحادثة في السياق الفكري وفي سياق العمل، وفي مرحلة التحقّق والتطبيق. إنّ حادثة كربلاء عبارة عن تمثيل وتصوير واقعي لجنود الإسلام، تجسّد تماماً في قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) (التوبة/ 111).

معركة عاشوراء على الرغم من قصرها، لكنّها حظيت في تاريخ البشرية بأهميّة كبرى، وقد أصبحت من أعظم المعارك تأثيراً على الأرض، فهي لا تزال وبعد مرور السنين الطوال مؤثرة في نفوس الأُمّة فتحرك إلى النهوض والتمسك بالحقّ، إنّها ثورة ولكنّها قدوة للثورات، فقد تألقت في سماء هذا الشرف، ويتسائل المرء كيف كانت هذه الثورة وعلى قصرها هي معركة التاريخ وأوسعها تأثيراً في الناس، لأنّها معركة قامت من أجل إصلاح أمّة، وأساسها المبدأ الصحيح، إنّها تهدف إلى تقويم المجتمع بأكمله.. فلهدف كان أسمى.

ولكي نعرف عظمة تلك الثورة وقيمتها في التاريخ لابدّ أن نضعه في ظروفه ووقته المحدود. إنّ كلمة يقولها مؤمن في مواجهة الطاغوت هي كلمة عظيمة، وأنّ راية يحملها الصالحون في زمن الردّة هي راية مقدّسة، أي ظرف ثار الحسين ومن تبعه، فقد التفّ حول الحسين (عليه السلام) رموزاً وأبطالاً لا يضاهون في سماء البشرية، فكان قمر بني هاشم رمزاً للبطولات، وعنواناً للتضحية والفداء.

مَن يقرأ ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) يجدها كتاباً مفتوحاً يقرأ فيها كلّ معاني العظمة والنبوغ وانتصار الدم على السيف والدعوة إلى الحقّ والخير والسلام. وأعداءه هم الذين خرجوا على القانون واستباحوا الحرمات وقتلوا النِّساء والأطفال والشباب وهم الذين خسروا الحرب وباؤوا بالخزي في الدُّنيا والعذاب في الآخرة

إنّ ملحمة كربلاء من أهمّ الأحداث العالمية، بل من أهمّ ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في ميادين الكفاح. حيث كانت في واقعيّتها معرضاً صادقاً لبيان معاني الإنسان العقائدي، وأنّ المتمعّن في تاريخ قضايا واقعة كربلاء يلاحظ عمق الجذور التاريخية لهذه الواقعة، فإنّها ليست واقعة كارثية فحسب، ومظهراً من مظاهر الفداء العظيم النادر، بل إنّها واقعة عجيبة من زاوية التبرير الروحي والمعنوي لطلب النهضة الحسينية.

كانت أهداف الحسين (عليه السلام) ومقاصده عن علم وحكمة وسياسة وليس لها نظير في التاريخ، فإنّه لم يزل يسعى إلى القتل والشهادة لتحقيق ذلك المقصد العالي، ولم نجد في التاريخ رجلاً ضحّى بحياته كما فعل الإمام الحسين (عليه السلام). المصائب التي تحملها ثورة الحسين (عليه السلام) في طريق إحياء دين جدّه تفوقت كثيراً على مصائب أرباب الديانات السابقين، ولم ترد على أحد منهم. صحيح إنّ هناك رجالاً قُتلوا في طريق إحياء الدِّين ولكنّهم لم يكونوا كالحسين (عليه السلام)، فإنّه ضحّى بنفسه العزيزة في طريق إحياء دين جدّه وفداه بأولاده، وأخوانه، وأقربائه، وأحبابه، وأمواله، وعياله ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتى تكون في حُكم مصيبة واحدة بل وقعت متتالية الواحدة بعد الأُخرى، ويختص الحسين (عليه السلام) دون غيره بتواتر أمثال هذه المصائب كما يشهد له التاريخ.

إذا كانت الحاجة إلى الفداء تنتهي في يوم من الأيّام، فإنّ عطاء الحسين (عليه السلام) قد انتهى، ولكن ما دام الفداء ضرورة يومية لدحر العدوان القائم يومياً، فعطاء الحسين (عليه السلام) لن ينتهي. وتبرز أصالة الأُمّة واضحة من خلال دروس يوم عاشوراء، فقد علّمنا الحسين (عليه السلام) كيف نعيش، عندما علّمنا كيف نموت. لأنّ مَن لا يعرف كيف ينتهي، فهو لا يعرف حتماً كيف يبدأ، ومَن لا يفهم الشهادة، لا يفهم الحياة. إنّه يريد أن يقول لنا: «علينا أن نفتش عن الشهادة في أيّة زاوية من زوايا الأرض وفي أي زمن، لأنّ القتل في سبيل الله يبقى أبداً أفضل من الموت على فراش المرض».

ونحن حين نستعيد أجواء عاشوراء، فإنّما نستعيدها لنعتبر بها ونتعلّم منها، ونعيشها من أجل أن نكون في المرحلة التي تكمل تلك المراحل، لأنّ الحسين (عليه السلام) كان خطوةً متقدّمة في المسيرة الإسلامية الطويلة التي لن تنتهي حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، إنّه كان يتمثّل بهذه الآية الكريمة: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب/ 23).